# التعبُّد للبتول

## والرسالات اللاتينية في الشرق

نظمَ للاب يوسف خليل اليسوعي

ما كاد السيد المسيح يوجه رسلهُ الكرام الى انحاء المعمور ليبشروا الامم ويعلموهم الحقائق الخلاصية حتى قاموا باوامر الرب حقّ القيام ثم لم يعتم ان تقفّى آثارهم ابطالٌ هجروا على مثالهم الاهل والاوطان وتفرّقوا في كل فجٍ ليدعوا الشعوب الى دين النصرانيّة وهم يبذلون في سبيل الايمان النفس والنفيس لا تأخذهم في نشرهِ لومة لائم. وقد تتابع هؤلاء الدعاة الفضلاء جيلًا بعد جيل وتناوبوا لبذر الزرع الجيّد في انحاء العالم. واعصارنا الاخيرة قد عاينت من اعمالهم ما يُقضى منهُ العجب ونالت اوطاننا من همتهم نصيباً صالحًا ولو حاولنا وصف مساعيهم لاستغرق تعدادها مجلّدًا بل مجلّدات

واليوم حسبنا ان ندوّن على صفحات هذا العدد من المجلّة المختصّ بوريل عقيدة الجبل بلا دنس ما لهؤلاء المرسلين من الفضل في نشر التعبُّد للبتول الطاهرة في الشرق وذلك بغاية الاختصار لئلّا تخرج بنا سعة المادّة عن الحدود التي تحرّيناها. وانّما نجني من كل روضةٍ زهرةً تتقدّمها كطاقةٍ زهيّة لعرش ملكة السماء التي طبع المرسلون على حبّها فلم يفرقوا في بشارتهم لسمها الحلو عن اسم ابنها الالهي

### ١ الرهبانية الكرملية

سبق الرهبان الكرمليّون في الشرق جميع الفئات الرهبانيّة. فان تقليدهم المتواصل يجعلهم كأخلاف لذلك النبيّ العظيم ايليّا الحيّ الذي حظي على جبل الكرمل برؤيا تلك السحابة التي جيئت بها الارضُ بعد محلها ثلاث سنوات. والسحابة على رأي الآباء والمفسرين رمزٌ الى سرّ

جبل العذراء بلا دنس ( راجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في اصل رهبانيَّة الكرمل . في المشرق ٥ : ٦٣٢ ) . ثمَّ صار الكرمل بعد ظهور النصرانيَّة مقام لعبادة العذراء لاسيَّما براءتها من الخطيئة الاصليَّة تألَّبت اليه جماهير المؤمنين وانقطع فيه قومٌ منهم الى الطريقة النسكيَّة واقفين نفوسهم لاكرام البتول الطاهرة . ومن اعيادهم التي كانوا يقيمون فيها الحفلات البهيجة عيد الجبل البريّ من الدنس ارصدوا له يوماً في السنة وهو اليوم التاسع من كانون الاوَّل على مألوف عادة الكنيسة اليونانيَّة . ومن الكرمل انتشر هذا العيد الى الكنائس المجاورة ( راجع مقالة الاب انستاس ٦٣٦ )

وزاد الآباء الكرمليون على فضلهم هذا فضلاً جديداً لمَّا اصطفت العذراء مريم رهبانيَّتهم في اواسط القرن الثالث عشر وقدَّمت لرئيسها القديس سمعان سترك ذلك الثوب الذي جعلتهُ كشارة ابنائها الاخصَّاء . واعدةً بانَّ كل من يلبسهُ بتُقى يسلم من نيران الجحيم . فلبَّى اولاد الكرمل دعوة سيدتهم وافرغوا كنانة جهدهم لنشر عبادة العذراء وثوبها المقدَّس في كلّ اقطار العالم الكاثوليكيّ . وقد وجدوا في قلوب المسيحيين الشرقيين تربةً صالحة زرعوا فيها الحبّ والاكرام لوالدة الله وخصوصاً في رسالاتهم المتعدِّدة في بلاد الشام ولبنان وما بين النهرين والعراق والهند فحيثما حلُّوا استغزُّوا المسيحيين بامثالهم ومواعظهم وتآليفهم الى اكرام امّ الخلَّص المجيدة . وقد اضحى بهتهم ثوب الكرمل كعلامة تفرز الكاثوليك ممَّن سواهم وكسلاحٍ يردُّون به كلّ غارات العدوّ الجهنَّمي

## ٢ الاباء الفرنسيسيون

ظهرت الرهبانية الفرنسيسيَّة في بلاد الشرق منذ القرن الثالث عشر . وكان منشئها الهمام القديس فرنسيس سبقها الى مصر وفلسطين فبشَّر بالايمان واشاد بذكر البتول التي خصَّ قسٌ وابناءهُ بخدمتها . ولمَّا اضطرَّ الى ان يعود

الى ايطالية لم يلبث رهبانهُ ان اجروا الى الشرق وضربوا اطنابهم بين الطوائف المسيحية وقد اختاروا لسكناهم الاماكن التي وجدوا فيها آثار الفادي وامهِ العذراء. فاقاموا فيها المعابد وشيَّدوا الكنائس التي كان يؤمها الحجَّاج من اقاصي البلاد فيتبرَّكون بزيارتها. ومن الآثار المريمية التي حفظوها لعبادة المسيحيين من آفات الدهر مقام سيِّدة البشارة في الناصرة ومعبد زيارة العذراء لنسيبتها في عين كارم وكنيسة ظهور المسيح لامهِ بعد قيامتهِ وكنيسة رقود مريم في جبل صهيون وكنيسة قبر العذراء القريبة من جسماني وآثار أخرى في صفورة وقانا وغيرهما كانت من اقوى العوامل على نشر العبادة للبتول الطاهرة استحقُّوا بحفظها شكر كل المتعبدين لامّ الله. هذا وانَّ المرسلين الفرنسيين قد امتازوا في كل الاجيال بمدافعتهم عن عقيدة الحبَل بمريم البريَّ من كلّ دنس فلم يزالوا يسعون في تأييد هذا المعتقد ونشرهِ بين الشرقيين بمواعظهم وما ابرزتهُ مطبعتهم القدسية من الكتب التقويَّة في محامد البتول الطاهرة

وقد قاسم الفرنسيين في نشر العبادة المريمية بين الشرقيين فرع آخر من الشجرة الفرنسيَّة الفنَّاء ألا وهم الآباء الكبوشيُّون الذين ظهروا في الشرق في اواسط القرن السابع عشر فاحرزوا لهم شكر البلاد باعمالهم الصالحة. وكان سعيهم في بسط العبادة المريميَّة كسعي كل ابناء القديس فرنسيس. ومن اشبه اباهُ ما ظلم

## ٣ً الرهبانية الدومنيكيَّة

انَّ ابناء القديس دومنيك ينتمون الى السيِّدة العذراء منذ اوَّل نشأتهم فورثوا عن منشئهم الشهير عبادتهُ الممتازة لمريم التي مكَّنتهُ من تذليل كلّ العقبات التي وجدها في سبيل مشروعاتهِ الخيريَّة. وقد ورثوا خصوصاً من ابيهم عبادة الورديَّة التي انتشت في كل الاقطار روح التقوى والنشاط في خدمتهِ تعالى. ولو اردنا ان نعدّد كل ما اصطنعهُ المرسلون الدومنيكيُّون لمجد

العذراء لطال بنا القول. وفي تواريخ رهبانيّتهم تفاصيل واسعة تذكر اعمالهم في هذا الشأن منذ القرن الرابع عشر لاسيّما في رسالاتهم في ارمينية والكرج والعجم وما بين النهرين. وقد انشأوا في مدن عديدة اخويّات الورديّة فعمّت هذه العبادة كل الاصقاع الشرقية حتى انّها صارت كثوب العذراء من مميّزات الطوائف الكاثوليكيّة. وقد ساعد على نشرها ما ألّفه هؤلاء المرسلون في الورديّة واسرارها ونشروه بالطبع في مطبعتهم الوصليّة (الشرق ٥ : ٤٢٣) جازتهم العذراء القديرة خيرًا وافاضت عليهم سجال نعمها

### ٤ الرهبانية اليسوعية

قد شهدت البراءات البابويّة انّ ابناء القديس اغناطيوس اينما رحلوا وحيثما احتلّوا سعوا بنشاط لم يعرف الملل في ترقية العبادة المريميّة. وما يصحّ اجمالًا في الرهبانيّة اليسوعيّة قد ثبت خصوصًا في رسالاتها الخارجة لاسيما في بلاد الشرق. فلمّا قدم اليسوعيّون الاوّلون الى هذه الاصقاع في العشر الثالث من القرن السابع عشر وتزلوا في حواضر سوريّة والاناضول ومصر والعجم كان اوّل ما اتخذوه من الوسائط لتعزيز الايمان بين اهل الشرق نشر عبادة العذراء مريم التي عرفوا تملّق الشرقيين باهدابها. وكان اخوتهم في اوربّة انشأوا قبل خمسين عامًا الاخويّات المريميّة فنالوا بها من الآثار الروحية ما لم يخطر على بال. فأسرعوا مذ استقرّت قدمهم في الاستانة العليّة وسواحل الاناضول والعجم والشام ومصر الى انشاء مثل هذه الاخويّات فجمعوا المسيحيين تحت راية مريم ولذّوهم لاكوامها كل الاعمال التقويّة من اعانة الفقراء وعيادة المرضى وخدمة المطعونين وزيارة المحبوسين وتعليم الاحداث حتى صار اعضاؤها قدوةً لكل الناظرين على اختلاف مللهم. وسبق الحلبيّون لِمَا عُرفوا به من التُّقى ودماثة الاخلاق الى الانضواء في هذه الجمعيّات التقويّة وكثر عددهم حتى اضطرّ المرسلون الى ان يجعلوا لكلّ طائفة اخويّة بل

اخويّات كاخويّة الشبّان واخويّة الاحداث واخويّة التجّار. وقد وجدت بعض سجلّات هذه الاخويّات وفيها تفاصيل اعمال اصحابها المبرورة تنبئ بغيرتهم الملتهبة في خدمة النفوس. ولشعراء العصر قصائد في مدحهم واطراء شركاتهم

وكذلك اشتهرت اخويّة صيداء المنشأة في هذه المدينة لتهذيب التجار المتواردين اليها في ذلك العهد. وقد وصف الاب بُسّون في تاريخه « سوريّة المقدّسة » ما نجم عن هذه الاخويّة من الخير العميم. وناهيك ان منها خرج رجال افاضل كفرنسيس بيكه الذي صار قنصلًا على حلب ثم قاصدًا رسوليًّا. وفرنسيس لَبرت اليسوعيّ الذي فتح دير عينطورة. وكان لليسوعيين اخويّات مثل هذه في دمشق وطرابلس وازمير ولكل واحدة تاريخ مطول

وممّا عُني به اليسوعيون الأقدمون نشر العبادة لبرارة العذراء مريم وخلوّها من خطيئة الجدّين الاوّلين. سعوا بذلك جهدهم في مواعظهم وكتاباتهم وكان الاب يوسف بُسّون جمع من كتب الشرقيين الطقسيّة نيفًا ومئتي شهادة تدلّ على صحّة هذا المعتقد في كنائس الشرق جمعاء. ولمّا اصدر البابا اسكندر السابع براءتهُ بخصوص برّ البتول في حبلها طار قلبهُ فرحًا ودعا رؤساء الطوائف الشرقيّة في حلب مع عدّة شهود بحضور القنصل الفرنسوي فرنسوا بارون فعرض عليهم براءة البابا وفسّر لهم مضمونها مع بيان موافقته لنصوص الآباء الشرقيين وللصلوات الطقسيّة ثم طلب اليهم ان يجاهروا بمعتقدهم ويعلنوا به خطًّا ثم يُوقّعوا عليه بامضائهم. فاجاب البطاركة الثلاثة مكاريوس الرومي واغناطيوس اندراوس السرياني وكاتشدور الارمني ثم لسطفان الدويهي النائب الاسقفيّ الماروني واقرّوا بان كنائسهم تتّفق كلها في ايمانها عن براءة العذراء من الخطيئة. وصادق ايضًا رؤساء الرسالتين الفرنسيسيّة والكرمليّة على هذا الامر. وأُرسلت شهاداتهم كلها الى رومية وكان الاب بُسّون يؤمّل أنها تكون من اقوى العوامل لاثبات عقيدة الحبل

بلا دنس. وقد وجدت هذه البطاقة آخرًا فنشرت في مجلة التمدن الكاثوليكي سنة ١٨٧٦ كما سبق في المقالة الاولى من هذا العدد

ثم ثارت بالرهبانيَّة اليسوعية صروف الدهر كادت تكون قاضية عليهم فخلا الشرق منهم ستين سنة ثم عادوا في العشر الرابع من القرن السابق الى رسالتهم في سوريَّة بعد ان كتب بطاركة الشرق الموارنة والسريان والارمن عرضًا يلتمسون رجوعهم سنة ١٨٣١ بصحبة السيِّد الجليل والذائع الشهرة مكسيموس مظلوم. فرحَّب بهم اعيان البلاد والاهلون وأقطعوهم املاكًا في الجبل بنوا فيها ادیارًا ولم يزل نطاق اعمالهم يتَّسع حتى بلغ ما نعرفهُ منها اليوم

وجرى آباء الرسالة الجديدة على آثار أسلافهم في نشر العبادة المريمية. فمن ذلك أنهم سبقوا الكل الى نشر عبادة الشهر المريمي فامتدَّت الى كل انحاء المشرق بعد ان باشر بها لاوَّل مرَّة سنة ١٨٣٦ في بكفيا الاب سليمان استاف (راجع المشرق ٥ : ٢٨٩)

ثم تذكَّروا ما نالهُ اختهم الأقدمون من ثمار الخلاص بانشاء الاخويَّات التقويَّة فبادروا الى عقدها في كنائسهم وحضوا غيرهم على استعمالها حتى لا تكاد تخلو منها اليوم بلدة او طائفة. واحدى هذه الاخويَّات هي التي أُنشئت في بيروت سنة ١٨٤٩ لوجوه المدينة. وكانت اوَّل اخويَّة على اسم سيدة الجبل بلا دنس وذلك قبل اثبات العقيدة بخمس سنوات. (راجع الخلاصة الذكية المطبوعة سنة ١٨٩٩ في يوبيل هذه الاخويَّة)

ولا نُعدِّد هنا وسائل أُخرى توسَّلت بها الرهبانية اليسوعية لنشر العبادة لمريم منها المعابد المشيدة على اسمها والزيارات السنويَّة لمعابدها واكرام بعض صورها العجائبيَّة كصورة سيدة النجاة في بكفيا وصورة سيدة التنزه في تنايل ومنها ايضًا مطبوعاتهم في مناقبها ومدافعتهم عن عقيدة حبلها البريء من

دنس الخطيئة . الى غير ذلك مما يعدّه الرهبان اليسوعيون كفرض واجب عليهم مقابلة لما ينالونه من مراحم هذه الامّ الحنونة من النعم والبركات

## ه الجمعية اللازرية

ارسل الكرسي الرسولي آباء الجمعية اللازرية الى بلادنا بعد تفرّق شمل اليسوعيين في اواخر القرن الثامن عشر ليخلفوهم في اعمال رسالتهم . فقاموا باعباء هذه المهنة قياماً يشهد لهُ كلُّ من رأى نشاطهم في فلاحة كرم الربّ . ولمّا كانت احدى غايات منشئهم الجليل القديس العظيم منصور دي پول ان يبثّوا في القلوب الحبّ لمريم ويذيعوا خصوصاً عن عقيدة براءتها من كل دنس في حبلها اخذوا على نفوسهم الّا يدعوا فرصةً دون ان يحرّضوا المؤمنين على تحقيقها ونشرها . وقد جازتهم هذه البتول الطاهرة لمّا شاءت سنة ١٨٣٠ ان تُعطي الكنيسة عربوناً جديداً عن شفقتها الوالديّة فاختارت احدى راهبات المحبة لتحف بواسطتها العالم المسيحي بايقونتها العجائبيّة كما ورد في المشرق (٤ : ١٠٣٨) فضاعف ابناء القديس منصور وبناتهُ مساعيهم في تعزيز اسم مريم وبثّ العبادة لحبلها الطاهر فاجرى الله على ايديهم معجزات لا تُحصى بواسطة تلك الايقونة المقدسة لاسيما بين تلامذة مدارسهم وبنات اخويّاتهم ويتامى ميتّمهم ومرضى مستشفياتهم اجزل الله عليهم اسبغ نعمهِ واغزر هباتهِ

هذا ونقرّ في ختام نبذتنا الوجيزة اننا لم نستوفِ جمعيّات المرسلين حقها ولم نصف من اعمالها في سبيل العذراء الّا القدر القليل كما اننا لم نتحرَّ لذكر الجمعيّات الرهبانية التي نشأت حديثاً في بلادنا كالرهبان البيض واخوة المدارس المسيحية والاخوة المرعين وراهبات القديس يوسف وراهبات الناصرة مع ما لجميعهم في ذلك من الايادي المشكورة والافضال المذكورة حال دون رغبتنا ضيق المقام واتّساع الموضوع مستميحين من الجميع عذراً وملتمسين من العذراء ثواباً لكل من يسعى في خدمتها